

## الايمان والمقدس: إعادة التفكير بدور الدين في السياسة الدولية Faith and the Sacred: Rethinking the Role of Religion in International Politics

العبد ذويب\*، مخبر التحولات الاستراتيجية والجيو اقتصادية، جامعة عمار ثلجي - الاغواط-

[l.douib@lagh-univ.dz](mailto:l.douib@lagh-univ.dz)

تاريخ إرسال المقال: 2025/05/20 تاريخ قبول المقال: 2025/10/30 تاريخ نشر المقال: 2025/11/29

### الملخص:

توصف مسألة الدين بأنها من أعقد القضايا على المستوى الدولي والوطني أو الفردي. يولي لها الفكر البشري أولوية كبرى، خاصة وأن تاريخ الحرب بين الدول يؤكد أن الدين لم يكن غائبا عن مجال السياسات التفاعلية للدول. لذا أصبحت الأسئلة المطروحة على المستوى الدولي تتمركز حول دور الدين في السلام والصراع. لكن بعد حادثة 2001/09/11، ازداد الانشغال بمسألة الدين في الممارسة السياسية ودوره في رسم السياسة الخارجية للدول. وتأتي هذه الدراسة في محاولة لمناقشة مساهمة الفكر الديني المرتكز على الحرية الدينية والمقدس، والايمان ... في رسم معالم التفاعل بين الدول في مجال العلاقات الدولية باعتباره الحجر الأساسي للتكوينات المجتمعية. وتشكيل الهويات، وزرع القيم الاخلاقية، بل المؤسس لنظام الحياة الإنسانية ككل.

**الكلمات المفتاحية:** الدين، العلاقات الدولية، الايمان، الحرية الدينية، الهوية.

### Abstract:

The question of religion is one of the most complex issues at the international, national or individual levels. Human thought attaches great priority to it, especially since the history of war between states confirms that religion was not absent from the sphere of interactive politics of states. Therefore, the questions raised at the international level have become centered on the role of religion in peace and conflict.

but after the incident of 09/11/2001, the issue of religion in political practice and its role in shaping the foreign policy of States increased. This study comes in an attempt to discuss the contribution of religious thought based on religious freedom, and belief, and faith ... in drawing the parameters of interaction between countries in the field of international relations as the cornerstone of societal formations. And the formation of identities, the cultivation of moral values, and indeed the founder of the human life system as a whole.

**Key words :** Religion, International Relations, Faith, Religious Freedom, Identity.

### مقدمة:

إذا كان العصر الحديث قد عرف العديد من التيارات الفكرية التي تجاوزت النظرة التأملية العميقة للإنسان وعلاقته بغيره وببيئته، حيث حاولت هذه التيارات الفكرية المزوجة بين العقل والإيمان، الفلسفة والدين بصفته الموجه الأساسي للثقافة الإنسانية، والمنظم الوحيد للعلاقات المجتمعية الناتجة عن السلوك الإنساني. فقد أعادت التطورات المصاحبة للمجتمعات، كازدياد حجم الطيف الايديولوجي لـ "الكنيسة الكاثوليكية" في القارة الامريكية،

وتعاضد دور "الكنيسة الروسية الأرثوذكسية"، حيث تعدى عدد أتباعها (150) مليون شخص، وتأسيس "البيت الإبراهيمي" أو كما يسمى "الديانة الإبراهيمية" للأذهان الدور الديني في بناء المجتمعات وتنظيمها. خاصة إذا تعلق الأمر بالوظائف السياسية سواء على المستوى الوطني أو الدولي، الذي أصبح من سمات العصر بل أصبح من قبيل المسلمات في وقتنا الحاضر وقاسم مشتركا في سائر شؤون حياتنا اليومية الخاصة والعامة. هذا ويحظى موضوع البعد الديني للسياسة الدولية بأهمية بالغة. باهتمام واسع ضمن إطار التحليل العملي والعلمي. ويمتاز بدرجة من التعقيد والتغير والنسبية، فضلا عن كون كلمة الدين من أصعب المفاهيم صياغة وذات أبعاد ومستويات متنوعة. لذلك تكمن أهمية هذه الورقة في إبراز مكانة الدين في تشكيل السياسة العالمية، خاصة في ظل فشل كل الأنظمة والتشريعات الوضعية. كنموذج ذا رؤية عالمية شمولية. من خلال الإجابة عن الإشكالية التالية: لماذا يتم الرجوع إلى التفسيرات الدينية المحافظة والتقليدية باستمرار لشرح التفاعلات الدولية؟ بالتعرض إلى النقاط الآتية:

أولاً: أهمية الدين في المجتمع الإنساني.

ثانياً: الدين والبناء النظري في العلاقات الدولية.

ثالثاً: جدلية الدين في السياسة الدولية.

### 1. أهمية الدين في المجتمع الإنساني

ترتبط فكرة الدين بممارسة الطقوس والماراسيم التي انتظمت بها حياة الأفراد في مراحل تاريخية بعينها. ويعد الدين بمثابة العمود الفقري للمجتمعات. إذ يعكس لنا تلك الحالة النفسية للشعوب الناجمة عن المعتقدات الكامنة داخل الإنسان على مر الحضارات ومكانتها في السلم التاريخي. وقبل الحديث عن أهمية الدين للمجتمعات الإنسانية سوف نستعرض بعض التعاريف للدين. الذي يثير إشكالية إيجاد أو وضع تعريف موحد له نتيجة اختلاف وجه النظر حول طبيعة تصنيفات وأنواع المعتقدات وما الذي يؤمن به الأفراد.

وتعود كلمة الدين في الإنجليزية "Religion" إلى الكلمة اللاتينية "religio" التي تشير إلى الإيمان بوجود قوة عليا مسيطرة، وتعني كلمة الدين في قاموس أكسفورد: الارتباط المشترك بين طبيعتين. أولهما ربط البشر بالإله، والثاني ربطهم ببعضهم البعض ب، من خلال يفرضه عليهم من القوة الإلهية التي هي فوق البشر والتي يجب أن تطاع من خلال الطقوس والاعتقاد والقيم الأخلاقية.<sup>1</sup>

وتذكر موسوعة للإنكارنا الإلكترونية 1997: أن الدين ( هو ارتباط الدين بالمقدس الذي يؤدي إلى الاعتقاد في الحقيقة الروحية ... وهو ظاهرة عالمية لعبت الجزء الهام في التراث الإنساني، فهو أوسع وأكثر تعقيدا من أن يكون مجموعة من الاعتقادات أو الممارسات الموجودة في أي ديانة تقليدية. والفهم المعقول للدين يجب أن يأخذ في الاعتبار نوعياته المتميزة وأنماطه المختلفة كشكل من الخبرة الإنسانية.<sup>2</sup>

ويعرفه قاموس الميراث الأمريكي بأنه ( الإيمان في، والشعور بالورع تجاه قدرة فوق الطبيعة، يعترف بها بأنه القدرة الخالقة والمتحركة في هذا الكون ).<sup>3</sup> وقد عرفه "ماكس مولر" في كتابه "تحو علم الدين" بالقول

إن ( الدين هو كدح من أجل تصور ما لا يمكن تصوره، وقول ما لا يمكن التعبير عنه، إنه توق إلى اللانهائي). ويعرفه "رافيل" في كتابه "مقدمة في تاريخ الأديان" بأنه ( اشتراط الحياة الإنسانية بإحساس بالاتصال بين العقل الإنساني وعقل خفي يتحكم بالكون وما ينجم عن ذلك من شعور بالغبطة )<sup>4</sup>. ويشير "روبرت سبنسر" إلى أن الدين هو ( الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها المكانية والزمانية )<sup>5</sup>.

وقد خلص "إميل دوركايم" من خلال مقارنة عدة تعاريف للدين بأنه ( طريقة متساندة، يتألف من معتقدات وأعمال تمس أمور مقدسة وأخرى دنيوية، أي أمور حدثت وأخرى تعتبر ممنوحة. إن تلك المعتقدات والأعمال تجمع الذين تقبلوها في وحدة اخلاقية تدعى ب الكنيسة، وتضم كل الملتزمين )<sup>6</sup>. وقد حدد العالم "موريس جاستروف" ثلاثة قواعد لتعريف الدين هي:<sup>7</sup>

أ- شعور الناس بوجود قوة أو قوى متعددة أعظم منهم شأنًا وغير مسخرة لهم.

ب- اعتقاد الناس بأن لهم صلة بهذه القوى أو القوة.

ج- سعي الناس لإيجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة.

وتظهر التعاريف السابقة أن هناك صعوبات أو عوائق تقف امام الباحثين لإعطاء تعريف جامع ومتفق عليه لمصطلح الدين، نذكر منها:<sup>8</sup>

- التعددية الدينية: والناבעة من وجود اتجاهات وتيارات متباينة من الديانات، فضلا عن أن لكل دين من الأديان فرق ومذاهب وطوائف مختلفة، قد تصل في اختلافاتها إلى حد تبتعد معه عن المبادئ الرئيسية التي تركز عليها.

- غموض لفظ الدين وعدم وجود تعريف موحد، فهو من المصطلحات القديمة المرتبطة بالمواقف والتصورات والتراكبات الفكرية. ما أدى إلى إيجاد صياغات متعددة للفظ الدين ومدلولاته، وعدم استقراره على معنى محدد. كما ان الاستعمال الحديث للفظ الدين يختلف عن الاستعمالات القديمة الأمر الذي يثير جدلية العلاقة بين المفهوم والواقع، والمعاني الجديدة التي تعطى لمفاهيم قديمة في مراحل تاريخية معينة.

- يستعمل لفظ الدين على نطاق واسع كأحد المصطلحات العامة افي لغة التخاطب العادية التي تختلف من شخص لآخر، وفق طبيعة إدراكه، فيكتسب مضامين مختلفة باختلاف الأفراد والهيئات والثقافات حتى أضحت من أكثر الكلمات استعمالا وغموضا في آن واحد. والصعوبة الحقيقية تكمن في استخدام الباحثين المصطلح الذي اعتاده الناس وتداولوه فيما بينهم، وهذا التساهل من جانب الباحثين يؤدي إلى زيادة غموض المعاني واتساع الهوة بين الحقيقة العلمية والمصطلح الذي يعبر عنها.

• طبيعة الواقع ونظرته إلي الدين، إذ يعتبر الدين من القضايا المحظورة، وتثير درجة عالية من الحساسية في التعامل معها خاصة عندما يتعلق الأمر بعلاقة الظاهرة الدينية بالقيم التي يتبناها النظام السياسي القائم وموقع الدين من هذه القيم.

• طبيعة الدين كأحد المفاهيم الشاملة التي ترتبط بمجموعة من المفاهيم المتشعبة والمتداخلة معه، والتي يصعب التمييز بينها نظرا لارتباطها وتداخلها. كما أن هناك ارتباط وثيق بين العولمة وبين بروز دور الدين كمؤثر في السياسات الدولية، كما يستدعي الحديث عن الدين الحديث عن عدد من المعايير كالقيم، الاخلاق، التسامح، الحوار ...، باعتبار الدين منبع الكثير من هذه المعايير المكون الأساس والمميز للثقافة، والمتحكم في إنتاج الحضارة رؤيتها لغيرها من الحضارات.

لذا يمكن قوله أنه إذا كان الاعتقاد السائد أن الدين لا يعكس إلا مجموعة المعتقدات المجتمعية والثقافة الإنسانية للفرد والمجتمع. فإنه يمكن القول أنه في الوقت ذاته يعبر عن نظام يقوم على مبدأ الضبط، والاحترام وزرع القيم. من أجل تنظيم وترتيب العلاقات البينية والمحافظة على المجتمعات من الانحلال والاضمحلال، والعمل على بناء الذات وما يضمن التكامل المجتمعي. لذلك اهتم الكثير من المفكرين بدراسة أهمية الدين في محاولة منهم لإبراز مكانته ودوره في الفكر والحياة الإنسانية، ونذكر منهم:

(1) "هابرماس": يرى أنه لا يمكن تهميش الدين في بناء الآراء السياسية، ولكن يجب ترجمة ذلك فيما هو سياسي لتجاوز "دنس السياسي" فليس من واجب الدولة العلمانية ترجمة اللاديني في السياسي والمجتمعي، بل يجب أن تتسع لترجمة الديني في السياسي أو مسماه "الترجمة التعاونية أو المؤسسية" لتخفيف من وقع العلمانية على المتدين. أي عدم محاولة تفريغ المبادئ الدينية من بعدها المقدس. لذلك على الدولة العلمانية احتواء كل ذلك في إطار ما مسماه الأخلاق الما قبل سياسية.<sup>9</sup>

(2) "ماكس فيبر": حيث أكد أنه مثلما للدين دور اجتماعي، فهو ذو صلة بالحياة الاقتصادية والسياسة ففي كتابه "الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية" يوضح أن الفئات البروتستانتية الناتجة عن الإصلاح الديني كان لها الدور في تحقيق الرفاه الاقتصادي البريطاني وغرب أوروبا وتطور الصناعة الحديثة، نتيجة المعتقد المسيحي الذي يدعو للعمل والإنتاج والاستثمار، فاللدين منطقاً اقتصادياً، ورؤى أخلاقية ذات أسس، حيث يلعب وظيفة دفع التطور الاقتصادي أو كبحه. وكما لعبت الأخلاق البروتستانتية دوراً في تكوين المثاليات الأمريكية.<sup>10</sup>

(3) "الماوردي": يرى فيه أحد دعائم الضبط الاجتماعي الستة وهي: (دين متبع، وسلطان قاهر، وعد شامل وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح)، وقد أطلق عليها الماوردي قواعد للضبط ويأتي الدين عنده كأبرز هذه القواعد لاستقرار النظام الاجتماعي. فالدين من وجهة نظره يمارس ضبطاً ذاتياً على الفرد، من حيث تهذيب نفسه وتخليصها من شوائب السلوك اللاسوي، في نفس الوقت

يسعى لإحداث التوازن داخل النفس فلا يسعى إلى حرمانها من كل متطلباتها، بل لابد من توفير ما تحتاج إليه من الضروريات كشرط أساسي لإصلاح الفرد وضبط سلوكه وتصرفاته فالخلق هو الدعامة الأولى لبناء المجتمع المتماسك عاطفياً وفكرياً لتحقيق وحدة الجماعة وتكامل شخصيتها.<sup>11</sup>

(4) أما "ابن خلدون": فقد أدرك الدور الذي يؤديه الدين في عملية الضبط الاجتماعي لكونه يمارس نوعاً من الرقابة على سلوك الناس، وتمتد هذه الرقابة في السر والعلن، فالفرد عنده يمثل للمعايير التي يفرضها الدين، التي تحدد الثواب والعقاب لجميع الأفعال، والتصرفات التي يؤديها أو يتمتع عنها.<sup>12</sup>

وهو الأمر الذي بينته "سلوى سليم" في رؤيتها للدين بالقول، أن الضبط الديني يؤثر تأثيراً مباشراً وفعالاً في ثقافة المجتمعات ويعمل على توارثها. وهو عملية اجتماعية تكيف سلوك الأفراد ومواقفهم ليتماشوا ويسايروا القوالب والأنماط الثقافية والضوابط الاجتماعية التي ارتضتها الجماعة. كما أن من شأنه أن يبذر في نفوس أفراد الجماعة الخوف من العقوبة الإلهية، وهذا الخوف هو الكفيل للامتثال للضوابط الدينية المقدسة التي تنظم الحياة الاجتماعية.<sup>13</sup>

(5) وينطلق "كانط": في إبراز أهمية الدين من مقولة (الدين الحقيقي كامن في الداخل، يقوم في الاستعداد القلبي المتجه إلى الله مباشرة بمضمون أخلاقي)،<sup>14</sup> وهو ما يطلق عليه قوانين الواجب أو الأمر المطلق، أو ما يسميه بالدين الأخلاقي. لذلك يرى كانط أن الدين ما هو إلا اعتراف وتسليم بكل واجباتنا الأخلاقية بوصفها أوامر إلهية.<sup>15</sup> ويواصل "كانط" كلامه حول الدين الذي يعتبره الأداة والوسيلة الوحيدة التي من خلالها يتم توحيد الجنس البشري في مملكة الله، وذلك عن طريق تحقيق "الكومنولث الأخلاقي" أو "الدولة الإلهية"، المبني على أساس قوانين الفضيلة، وفي الوقت الذي يعترف ببعد تلك الغاية عنا إلا أنه يقر في وجود الدين الأخلاقي تنتفي الحرب ويعم السلام، لذلك يعتر "كانط" وجود الدين استئصال لكل أشكال الحرب من حياة الفرد والمجتمع والجنس البشري، ويرى "كانط" أنه في التزام الفرد الواجب الأخلاقي يصبح كائناً إنسانياً، وإن خالف الواجب صار حيواناً متوحشاً.<sup>16</sup> ويضع ثلاث مستويات لتحقيق السلام من خلال الواجب الأخلاقي، وهي:<sup>17</sup>

- التزام الفرد بالواجب الأخلاقي نحو نفسه، يكون السلام مع النفس.
- التزام الفرد بالواجب الأخلاقي نحو غيره، يكون السلام مع الآخر.
- سلام الجنس البشري في تحقيق كماله الأخلاقي الأقصى.

ومن خلال ما تم ذكره يمكن القول أن "الدين هو عبارة عن مجموعة من العبادات والشعائر الدينية التي تجرى في جو خاص، وتعبّر عن العلاقة التي تربط بين الإنسان والله. وهي إما أن تكون ظاهرية من

خلال كيفية اداء العبادات والمعاملات، أو باطنية تعكس قوة الاعتقاد بالله عند الانسان، ومستوى الايمان ودرجته عند الافراد".

## 2. الدين والبناء النظري في العلاقات الدولية

لقد أدى الجدل حول العلاقة بين الدين والمجال العام إلى توسع الشكوك حول علاقة الدين خارج تخصص العلوم السياسية من جهة. ونمو ظاهرة التركيز الأكاديمي على دور الدين من أخرى، لذا أبدا صانعو السياسات والممارسون اهتماما جادا لتأثير الدين في الشؤون العالمية. الشيء الذي أوجد مجموعة واسعة من المناقشات والأسئلة حول دور الدين في السياسة ومقاربات دراسته. ويرجع الكثير من المراقبين في مجال السياسة الدولية أن عودة النقاش حول المكانة الجيوسياسية للدين بالسياسة العالمية تكمن في العوامل الآتية:<sup>18</sup>

(1) طغيان النزعة الفردية، حيث يري نموذج الحداثة الغربي أن الدين نظام من المعتقدات الشخصية مرتبط بالفرد ولا يتخطاه إلى الجماعة أو المجال العام. في حين أن العديد من المجتمعات غير الغربية يلعب الدين فيها دورا باعتباره نمطا للحياة، ينظم المجالين الفردي والجماعي، والخاص والعام. أي منظم للمجتمع ولحياة الافراد من ناحية، ومولد للقيم والاخلاق من ناحية ثانية.

(2) فشل سياسات التحديث والتنمية التي اتبعتها العديد من دول الجنوب، وما ترتب على ذلك من انتشار للفساد بكافة صوره، السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي ...، بمعنى آخر النظر إلى الدين على أنه يلبي الحاجات الروحية، من ناحية، والحاجات المادية في المجالات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية من ناحية أخرى.

(3) كان لعمليات العولمة، خاصة في مجال الثورة التكنولوجية المتعلقة بالاتصالات وتكنولوجيا المعلومات دور في رفع صوت الجماعات الدينية عبر القومية، وعولمة القضايا المختلفة بما فيها الدينية الامر الذي اجبر الحكومات على التعامل مع الظاهرة الدينية عامة.<sup>19</sup> والإسلامية على وجه الخصوص.

(4) انتشار القيم الديمقراطية ما زاد من الضغوط الخارجية على الدول. وادى إلى تقويض احتكار الدولة للدين وفرض مبدأ حرية المعتقد ما زاد من انتشار ظاهرة التدين. فضلا عن دخول الجماعات الدينية المعترك السياسي ما منحها قوة تأثير سياسي.<sup>20</sup>

وبالإضافة إلى ذلك الدور المتزايد للمنظمات الدينية في التنمية: هناك اعتراف متزايد بدور المنظمات هذه الأسباب هناك سبب يعد الأكثر تأثيرا ألا وهو دور المنظمات الدينية الدولية في تقديم خدمات اجتماعية واقتصادية، وتعزيز التعاون الدولي في مجالات التنمية المستدامة.

ومع التطورات الحاصلة في مجال العلاقات الدولية والتغير في طبيعة الظواهر الدولية وترابطها وتداخلها مع بعضها، لفت الجانب النظري للعلاقات الدولية الانتباه لعدد من القضايا والمتغيرات الجديدة التي لها دور فاعل في تفسير وفهم التنافس والصراع الدولي بين الدول والامم، حيث عمل مجموعة من المفكرين والباحثين

في مجال العلاقات الدولية على تطوير النظرية والمقاربة الدولية لرسم صورة أكثر دقة للتفاعل الدولي. حيث تم ادراج العديد من القضايا الجديدة كالأصولية الدينية، الاثنية، الهوية، الاخلاق القيم، الثقافة، أي التركيز على البعد الحضاري والثقافي للعلاقات الدولية بدلا من البعد المادي، وما تبعها من تحول في مستويات التحليل بدل من الدولة جاء التركيز على الفرد والمجتمع. انطلاقا من أن الاجندة الجديدة للباحثين والمفكرين على الصعيد العالمي أوجدت مصادر جديدة للنزاعات والحروب في اطار التنوع والتعدد الحضاري والثقافي، ومحورية دور كل منها في تشكيل أو رسم السياسة الدولية.

إذ يري " ت.س. إليوت" في هذا الإطار بروز الاهتمام بالبعد الحضاري والثقافي. باعتباره الأساس في وضع أسس جديدة لتقسيم العالم، وتقديم محركات للتفاعلات الدولية ومحددا لنمطها ولحالة النظام الدولي وأدوات السياسة الخارجية وموضوعا من موضوعاتها، ومحددا لخطاب النخب والقاعدة، وعنصرا تفسيريا أو تبريريا للتحالفات ومكونا للقوة.<sup>21</sup> لذا يعد الدين أكثر مكونات البعد الحضاري والثقافي اتصافا بالاستمرارية والاستقرار وأكثرها تأثيرا، وهو كذلك أحد أهم الرموز تعزيزا للهوية وتمييزا لها، فإنه في جانب آخر قد يكون هو مصدر هذه الثقافة والأساس الذي يقف خلف نشوئها وتكوينها وترسيخ الحضارات التي تستند إليها. ويمثل الدين الإسلامي النموذج الأبرز في هذا السياق، فقد كان مصدرا لثقافة وحضارة جديديتين، ترسخت أركانها استنادا لما جاء به من مفاهيم وقيم وأطروحات دينية ودنيوية.<sup>22</sup>

لذلك نجد أن التحول الإبستمولوجي والمنهجي على مستوى دراسة بنية النظام الدولي أخذت بعين الاعتبار ان القواعد والقوانين المشكلة لمفاهيم القوة والمصلحة الوطنية وبنية النظام الدولي ليست موجودة مسبقا أو موجود كما هي، وليست نتاج المصالح المادية البحتة. بل هناك الجانب الاجتماعي والقيمي للأفراد والجماعات الذي يعد الوعاء الذي تصاغ من خلاله المصالح الوطنية وترسم من خلاله السياسات الدولية للأمم. فمحاولة فهم وتفسير السياسة الدولية في مرحلة ما بعد الوضعية أصبحت تركز على مجموعة من المتغيرات الجديدة كالدين، الثقافة، الهوية، القيم، المؤسسات والاعتماد على تحديد السياسات الدولية استنادا إلى المدخل الاجتماعي للعلاقات الدولية. أي العلاقة التأثيرية المتبادلة بين الافكار والمعتقدات والقيم داخل النسق الدولي للفواعل، الافراد، الجماعات، الدول. كما هو الحال للمقاربة البنوية.

وقد كانت الدعوة الاكاديمية المتعلقة بدراسة الدين والعلاقات الدولية تتسم بالتنوع من الناحية المنهجية والمعرفية. حيث اظهرت مجموعة كبيرة من الأدبيات حول الدور الذي تلعبه القيم والثقافة والدين في السياسة الدولية من خلال التركيز على أسئلة مثل دور الدين كمصدر للصراع العنيف والحرب، ودور الدين والمؤسسات الدينية في حل النزاعات ودور الدين كمصدر للمعايير الدولية. وبصيغة أكثر شمولاً حول ما يشكله الدين مرجعية للأفعال والأفكار والاقوال.

وبالرغم من عدم تمكن الاكاديميين من صياغة نظرية كبرى تتعلق بدور الدين والثقافة في العلاقات الدولية، إلا أن مساهماتهم كانت مهمة للغاية من ناحيتين، حيث أكدوا بحق أن الدين عنصر تم تجاهله في

العلاقات الدولية وبالتالي يتطلب مزيداً من الاهتمام من ناحية، وأوجدوا نقاشاً جديداً بين علماء العلاقات الدولية حول دور الدين على المستوى النظري داخل العلاقات الدولية وحفزوا المهتمين على أن الأمر يستحق متابعة البحث في هذا المجال للأغراض الأكاديمية والعملية على حد سواء من الناحية الأخرى. استناداً لفكرة القائلة بأن هناك اتفاق عام على أن الدين كنظام رمزي ومجموعة من القيم والمعايير للتمثيل الجماعي يثري فهمنا لتأثير الأفكار على الفعل.<sup>23</sup> أي يؤثر على طريقة تفكيرنا وتصرفنا ورؤيتنا للعالم.

ومع ذلك، فإن معظم علماء الاجتماع الديني يناقشون تأثير الدين على البشر. انطلاقاً من فرضية أساسية مفادها أن الناس بشكل عام تقريباً يمتلكون "وجهة نظر عالمية" و"منظور" و"إطار مرجعي" متماسك وشامل ومفصل. أو "اتجاه القيم" أو "نظام المعنى" الذي غالباً ما يقوم على الدين. ويرى "سبيرو" أن كل نظام ديني يتكون [...] من نظام معرفي. ويصف "ويليامز" في مناقشته للحركات الاجتماعية الأصولية أنظمة معتقداتهم بأنها "إطارات" هي "مخططات التفسير" التي يستخدمها الناس لإعطاء معنى للأحداث وتنظيم الخبرات، وتقديم أدلة إجراءات. أما "غيرتز" يقول أن الأديان لا تشمل فقط نظاماً عقائدياً، يلجأ إليه معظم الناس لتفسير العالم من حولهم، خاصة عند حدوث أشياء سيئة.<sup>24</sup> أي أن الدين يعني قوة تلك المعتقدات والايمان بها وأهمية تلك المقدسات في أفعال الأفراد.

وإذا كانت المدرسة الإنجليزية التي ظهرت كهيئة أكاديمية راسخة للعمل النظري والتجريبي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في عام 1918م، من أول الخطوات في مجال الدراسات الأكاديمية التي تهتم بمكانة الدين داخل السياسة الدولية، وما يميز المدرسة الإنجليزية بشكل خاص هو اهتمامها بالأخلاق والثقافة في وقت مبكر، مما سلط الضوء على قضايا التعايش والتعاون، وكذلك الصراع، وخاصة في العلاقات بين الدول ذات السيادة.<sup>25</sup> فإن مؤتمر "الدين والعلاقات الدولية"، الذي عقد بمدرسة لندن للاقتصاد في 27 ماي 1998م من قبل طالبي الدكتوراه "فابيو بيتيتو" و"بافلوس هاتزوبولوس" قد وصف بالحدث التأسيسي في الوقت الذي كانت فيه العلاقة بين العلاقات الدولية والدين معاً تتسم بالتناقض. وينظر لمجال العلاقات الدولية بحكم تعريفه على أنه علماني بامتياز، ويعتقد أن الدين قد تم إزالته من المجال العام ومن العلاقات الدولية واعتباره قضية محلية للدول. ونظر إليه على أنه شأن خاص لمواطنيها.<sup>26</sup>

فضلاً عن ذلك ما يمكن ملاحظته من جهود فكرية من قبل المؤلفين الذين يواصلون تشكيل البحث في مجال الدراسات الدولية. التي تعد الدين كقضية دولية مرتبطة بالسياسة وحجة مستدامة حول دور الدين في العلاقات الدولية، أوجدت مراكز بحثية في مجال الدين والسياسة في العديد من الجامعات الأمريكية بصفة خاصة، بما في ذلك جامعة بوسطن، وجورج تاون، ونورث وسترن، وجامعة فيرجينيا . . . إلى جانب وجود برامج دراسات عليا في الدين والسياسة تربط علماء الدين بعلماء السياسة. مثل معهد الثقافة والدين والشؤون العالمية في جامعة بوسطن والبرنامج الدولي لحل النزاعات في كولومبيا، برينستون، وبرنامج الدين والسياسة

والصراع في جامعة فيرجينيا، هذا ويمنح قسم جمعية الدراسات الدولية المكرس للدين والعلاقات الدولية جوائز سنوية لأحدث الأعمال في مجال العلاقات الدولية والدين.

وقد برز مؤخرًا عدد من المجالات المخصصة للدين والعلاقات الدولية مثل مجلة مراجعة الايمان والشؤون الدولية، ومجلة الممارسة الدينية والسياسية، ووجهات نظر أبحاث بريل في الدين والسياسة. كما هناك ما لا يقل عن ثلاثة سلاسل من الكتب المخصصة لمجال الدين والعلاقات الدولية ككتاب "بالجريف ماكميليان" الثقافة والدين في العلاقات الدولية (سبعة عشر عنوانًا خلال الفترة 2002-2014)، ودراسات روتليدج في الدين والسياسة (خمسة وثلاثون عنوانًا في الفترة 2011 - 2021). إضافة لمجموع من الأعمال، كعمل "جوناثان فوكس" و"شموئيل ساندلر" المتمثل في "جلب الدين إلى العلاقات الدولية" (2004)، و"سكوت توماس" "الانبعاث العالمي للدين وتحول العلاقات الدولية" (2005)، و"جيفري هاينز" "مقدمة في العلاقات الدولية والدين" (2013) و"توخت صندل" و"جوناثان فوكس" "الدين في نظرية العلاقات (2013)، و"إليزابيث شكمان هيرد" "ما وراء الحرية الدينية" (2015). بالإضافة إلى ذلك هناك العديد من المقالات، ك مقال "فابيو بيتيتو" و"بافلوس هاتزوبولوس" بعنوان "الدين والعلاقات الدولية: العودة من المنفى" (2003)، ومقال "باتريك جيمس" "الدين، الهوية والحوكمة العالمية" (2011)، ومقال "تيموثي صموئيل شاه" و"ألفريد ستيبان" و"مونيكا دافي توفت" بعنوان "إعادة التفكير في الدين والشؤون العالمية" (2012).<sup>27</sup>

ومع كل ذلك، فإن الخلاف المنهجي في دراسة الدين كمحرك للسياسة الدولية، وفاعل في العلاقات الدولية يتعلق بالقضايا الثلاثة (03) الآتية:

- 1) بكيفية وبأي طريقة يمكن دمج العناصر الدينية/الثقافية في أبحاث العلاقات الدولية والسياسة.
- 2) حول الطرق التي يمكن أن تؤثر بها العناصر الدينية/الثقافية على السياسة والعلاقات الدولية.
- 3) كيف يمكن قياسها وتحليلها في سياق أكاديمي؟

لهذا يؤكد كل من "ساندال" و"جيمس" بأنه يجب التحقيق في الظواهر الدينية على أنها مستقلة كسبب والتدخل كحلقة وصل بين السبب والملاحظة الناتجة، والمتغيرات التابعة باعتبارها نتاج أسباب غير دينية. وفي هذا الصدد يقول "بارنيت" إن علماء العلاقات الدولية قد يدرسون كيف يساعد الخطاب الديني في إعطاء معنى وأهمية للعالم من حولهم لأن المعاني التي يفرضها الفاعلون لأنشطتهم لا تنبع من المعتقدات الخاصة بل من المجتمع أو الثقافة. كما يقترح أنه عند دراسة الدين في العلاقات الدولية لا ينبغي للمفكرين والباحثين من الناحية المنهجية تأصيل أي دين، يجب أن يكونوا حذرين من الثنائيات، مثل المصالح/القيم الدينية العقلانية/الديني، القوة/القيم. لأنها تقلل من أهمية الدين من حيث المعنى السببي والظاهري. كما يجب عليهم تجنب الوسطية المتغيرة، على الرغم من أن العالم المتغير المركز قد يحذف العديد من السمات المهمة للعديد من التفسيرات الجيدة.<sup>28</sup>

وفضلا عن ذلك يقول "ميشال فوكو" أن اهتمامي الرئيسي هو ما نعلمه قبل أن يتضح في أي اتجاه يمكن للبشرية أن تتقدم. أقترح توسيع ما ندرسه في فصول العلاقات الخارجية ليشمل جوهر المناقشات التي بدأت من خلال عودة الدين إلى العلاقات الدولية، ومن الضروري أيضا أن يعرف طلاب الشؤون العالمية ما يجب أن تقوله الأديان الرئيسية حول ما يحدث في العالم. لاستكمال ما يسميه "مساحة المعرفة". وأضاف أن تصور طريقة مستقبلية لتدريس ما يجري في العالم وليس في التخصصات أو التخصصات الفرعية أو الحقول الفرعية المنشأة حديثا. هؤلاء أيضا، كما تكاثروا منذ بداية القرن العشرين، كانوا جزءا من فضاء المعرفة، أي ما يمكن معرفته وكيف يمكن أن يمر. لإظهار الصلة بـ "فضاء المعرفة"، أقترح تسمية إطار العمل للأغراض التعليمية بـ "منطقة المعرفة".<sup>29</sup>

وبهذا يمكن القول أن الواقع الدولي أن الواقع الأكاديمي للتنظير في العلاقات الدولية والتحولت الاستمولوجية للمقاربات المفاهيمية تؤكد أن مجال الدراسات الدولية ليس قضايا مادية بحثه تحكم الافراد. بل هناك جانب قيمي اجتماعي يفرض على مفكري العلاقات الدولية محاولة إيجاد بناء نظري وحقل استمولوجي معرفي أكثر شمولاً، حتى يتسنى فهم وتفسير ظواهر السياسة الدولية بأكثر موضوعية. لا محاولة إعطاء تفسيرات تبرر تصرفاتنا بدلا من محاول طرح نماذج تساعدنا في الفهم الشامل للقضايا التي تشكل مخاطر وتهديدا لنا وللآخر في الوقت نفسه، كما تنادي به الدراسات النقدية الحديثة بالتركيز على الجانب المتعلق بالعنف والصراع البنيوي بدلا من المباشر، أو كما فعلت الواقعية البنيوية في محاولة لتصحيح الفشل التفسيري للواقعية الكلاسيكية والعمل على توسيع مجال الحقل المعرفي ليشمل المتغيرات الهيكلية بدلا من القوة والمصلحة الوطنية فقط. في محاولة لتجاوز الفكر الدولي القائم على أساس أن الدولة الفاعل الوحيد والتفسير أو النظرة العلمانية للأحداث، وعدم تحريف المصطلحات وتسمية الظواهر والوقائع بسمياتها بدلا من اعطائها اسماء أخرى كمصطلح الديمقراطية والرأسمالية والليبرالية والاشتراكية والشيوعية، القومية الوطنية...الخ

لذا وجب في هذا المجال أن يكون مفكري ومنظري الدراسات الدولية أكثر جرأة في طرح القضايا المتعلقة بالدين والايمان للإجابة عن الاشكاليات المغيبة في العلاقات الدولية بكل موضوعية وأمانة علمية خاصة وأن الدين يظهر كإشكالية معرفية تداولية متعددة الأبعاد، وتشمل العديد من التخصصات المعرفية كالتاريخ والاقتصاد وعلم الاجتماع والفلسفة وكذا في السياسة والعلاقات الدولية، كما يجب على الباحثين في السياسة العالمية التمييز بين مصطلح الدين في المجال الأكاديمي كمتغير امبريقي معياري، وبين مفهوم الدين الذي يستخدمه الافراد في الحياة الاجتماعية اليومية لتجنب الإخفاقات والنقاط العمياء الناتجة عن تجاهل الدين.

### 3. جدلية الدين في التفاعلات الدولية

غالبا ما تثير بعض المصطلحات أو المفاهيم قضايا الدين المصيرية عبر التاريخ، كالحروب الصليبية، الارهاب الخلافة الاسلامية، الاسلاموفوبيا، الرهبان المحاربون، الدين المدني، الطائفية، الانتية، العرقي...، لكن مع انتشار أطروحة العلمنة باعتبارها من أهم أركان ثقافة العولمة وافتراسات التنوير، تجاهل العلماء في

العلوم السياسية والسياسة الدولية على وجه الخصوص أهمية الدين إلى حد كبير في الأمور السياسية المعاصرة. لكن في الوقت نفسه يؤكد العديد من الباحثين أن الفصل التام بين الديني والعلماني أمر صعب للغاية إن لم يكن مستحيلاً، ما يستلزم إجراء تحقيق في كيفية تكوين الديني والعلماني بشكل متبادل.<sup>30</sup>

ويبرز التطور التاريخي أن البيئة الدولية تستند على فرضية مفادها أن الدين تاريخياً كان ذا أهمية مركزية للعديد من النتائج السياسية داخل الدول وفيما بينها، قبل القرن التاسع عشر (19) وتطور نظام الدولة الحديث، حيث كان الدين المصدر الرئيسي للصراع السياسي والصراع الدولي بين الأديان المتنافسة. لكن بعد صلح وستفاليا 1648م، والتطور اللاحق للدول المركزية والعلمانية، لوحظ تراجع أثر الدين على التنافس الدولي. وذلك وفقاً لافتراض رئيسي أن الدول ذات السيادة هي الجهات الفاعلة الرئيسية في العلاقات الدولية حيث شكل مفهوم سيادة الدولة وعدم التدخل من حينها أساس التفكير الدولي على مر القرون من خلال تأسيس ما يسمى بـ "الركائز الأربعة" للنظام الوستفالي التي كانت في حقيقتها محاولة لإزالة فكرة الدين كمبرر للحرب. والتي عكست الاهتمامات التالية:<sup>31</sup>

- (1) الدول هي الفاعل الشرعي الوحيد في النظام الدولي.
  - (2) لا تسعى الحكومات إلى تغيير العلاقات بين الدين والسياسة في الدول الأجنبية.
  - (3) تمارس السلطات الدينية بشكل شرعي عدداً قليلاً من الوظائف الزمنية المحلية، وحتى أقل من ذلك عبر الحدود الوطنية.
  - (4) هناك فصل بين الكنيسة والدولة، مما يعني أن الحكومات لا تعزز بقوة رفاهية الدين (الأديان).
- لذا ساد اعتقاد لدى عدد من المفكرين البارزين في القرن 19م، من أمثال "أوغست كونت"، "سبنسر" "دوركايم" "ماكس ويبر"، "كارل ماركس"، ...، أن الدين سوف يتلاشى تدريجياً. وأنه لم يعد بتلك الأهمية مع ظهور المجتمع الصناعي،<sup>32</sup> كما كان لظهور المنظمات الدولية دور في تهميش الدين كعامل أساسي في التفاعلات السياسية وحركة العلاقات الدولية، حيث تحت المواثيق الدولية وعلى رأسها ميثاق الأمم المتحدة سنة 1945م، إلى تحقيق التعاون لحل كل المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والانسانية والعمل على تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً دون النظر إلى الجنس واللغة والدين وعدم التفريق بين الذكور والإناث أي يجب مراعاة النوع. وهو ما يمثل تأكيداً على أن السياسة المدنية اضحت مفهوماً أساسياً في فهم العلاقات داخل الدول وبينها.<sup>33</sup>

إضافة لبروز عدة كتابات تمجد الدولة القومية وتؤكد على فصل الدين عن الدولة وعن الشؤون الدولية، حتى أن الكثير منهم استبعد قيام الحروب لأسباب دينية. حيث لفت "البيريكو جنتيلي" الانتباه إلى أن كل مجتمع من المجتمعات له دين خاص يختلف عن الآخر، ومن غير الصواب الحكم على أيها أفضل. لذا فإشعال الحرب لأسباب دينية سيجعل افق السلام غير مرئي. وعليه، على رجال الدين أن يلتزموا بعدم التدخل في الشؤون خارج دائرتهم.<sup>34</sup> وقد ظل هذا الاعتقاد سائداً في العلوم الاجتماعية خلال معظم القرن العشرين،

خاصة مع انتشار الفكر الالحادي من جهة، وتفسيرات المفكرين للدين ودوره من جهة أخرى. والاعتقاد السائد لدى الكثير منهم بزوال الدين كفاعل مؤثر في الحياة البشرية مثل ما هو الحال لـ "كارل ماركس" الذي يعتبره أفيون الإنسانية.

ومع العودة بالتاريخ إلى الخلف قليلا، تدل بعض المؤشرات على عكس ما كان يعتقد مفكري علم الاجتماع بأفول ضوء الدين مقابل الالحاد والعلمانية، فمثلا هناك الحدث الكبير في هذا السياق انتخاب البابا البولندي "يوحنا بولس الثاني" عام 1978م، الذي عززت شخصيته ونشاطه الشعور بهوية دينية راسخة قوية. فضلا عما حدث سنة 1979م، باعتبارها سنة مفصلية في القرن العشرين، ففيها قامت ثورة "الخميني" في إيران التي تقع على ملتقى العالم المتوسطي والعالم الآسيوي، وفي السنة نفسها أعطى "جيمي كارتر" الضوء الأخضر للاحتفال بذكرى إبادة يهود أوروبا على يد النازية وبناء متحف للمحرقة، وفيها أيضا ظهرت أطروحة "ليو شتراوس" القائمة على إبراز التعارض بين فكر الأنوار وبين منطق الوحي الديني، وبعدها سقوط جدار برلين 1989م، حيث اعتقد الناس بتفجر عصر الحرية والانوار.<sup>35</sup> ونهاية الحرب الباردة التي تتمحور حول الانتماء الأيديولوجي بين ليبرالي واشتراكي وشيوعي وقومي بين المعسكرين الشرقي الغربي في سنة 1992م، وما تزامن معها من الحديث عن نهاية الأيديولوجية كآلية لخلق العدو والحرب والصراع في النظام الدولي بتفكك الاتحاد السوفياتي، خاصة مع اعلان الوم أ عن ميلاد نظام عالمي جديد. وظهور أطروحة "فوكي ياما" حول نهاية التاريخ والرجل الاخير" وانتصار فكرة الليبرالية.

لكن حركية البيئة الدولية وتعقيداتها، وفرض سياسة العصا الغليظة مثلت عوامل أدت إلى إعادة بعث قضايا وظواهر كان يعتقد أنها انتهت كالأقليات، الاثنية، الارهاب الدولي، التطرف الديني، التطهير العرقي التبشير العابر للحدود ...، بعد أن كانت تعاني منها الدول داخليا. وكانت أحداث 2001/09/11م، علامة بارزة على عودة الدين إلى مجال التنافس والصراع الدولي مع مطلع الالفية (2000م) إذ صرح على اثرها الرئيس الأمريكي السابق "بوش الابن" قائلا أن الحرب على الارهاب الدولي هي "حرب صليبية". اتخذت حينئذ مفردات السياسة الأمريكية صبغة دينية، وكرر ذلك عندما قسم العالم إلى محور الشر ومحور الخير، والدول إلى صديقة وأخرى عدوة. وهو بالضبط ما وصف به الرئيس الأمريكي "رونالد ريغان" الاتحاد السوفيتي حينها "بإمبراطورية الشر".

ومع ذلك، قد أحييت أحداث 11 سبتمبر 2001م، مرة أخرى وجهات النظر التي ترى أن للدين (الإسلام بالدرجة الاولى) دور في السياسة العالمية، خاصة ارتباطه بالعنف الذي يتوافق بشكل وثيق مع رؤية "صدام الحضارات" لـ "هنتنغتون". التي تقوم على مبدأ أن الدين لا يهم فقط في العلاقات الدولية، بل سيظل أحد القوى الدافعة للصراع حتى في المستقبل، وأن الحضارات العالمية سوف تتنافس على قيم ثقافية ودينية معينة. لذا أصبحت الأسئلة الشائعة حول ما إذا كان الإسلام يروج للعنف من الأمور الشائعة في الأوساط الأكاديمية

وكذلك في وسائل الإعلام الشعبية والمنافذ الإخبارية. حيث عززت هذه الأسئلة مخاوف أخرى بشأن توافق الدين مع الديمقراطية والمكان المناسب للدين في الحياة العامة والمجال العام.<sup>36</sup>

وقد اشار "بوش" كذلك في سلسلة من الخطب في أواخر سنة 2005م، أن للدين مكانة في التنافس والصراع الدولي بقوله (صراحة أن الحرب على الارهاب بالأشكال المختلفة للإسلام الراديكالي والمجاهد. كونه السبب الرئيسي للإرهاب، حتى انه يلقي مساعدة في كل أنحاء العالم الاسلامي وفي اوساط أقليات مسلمة في الغرب. وان هدفه اطاحت حضارتنا وتحويل أمم الغرب إلى مجتمعات اسلامية فارضا على العالم كله دينه وشريعته).<sup>37</sup> ومع هذا يتضح أكثر تأثير الدين في السياسة الدولية، فالدولة الاعظم (و م أ) في العالم اضحى الدين يلعب دورا محوريا في التأثير على سياساتها.<sup>38</sup> حيث أصبحت مرحلة الحرب على الارهاب تسمى مرحلة التشهير بالعربي والمسلمين، حتى انه تم وصف عملية تحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار بأنها ورشة عمل للتدريب على الارهاب.<sup>39</sup>

وهو الامر نفسه الذي حدث في ظل عصر الإمبراطوريات، وبصفة خاصة الإمبراطورية الرومانية حيث كانت العلاقات الدولية تدور في وعاء ديني، واتسمت بتناحر عميق ودموي كما هو الحال في الحروب الصليبية. حيث كان البابا "أربانوس الثاني" (1088-1099 م)، يرى أن وظيفة البابوية الأساسية هي القيادة العليا للحرب المقدسة، ثم أن الحروب الصليبية هي بمثابة سياسة البابوية الخارجية، فهي التي تديرها وتتحرك وفقها، مما أفرز شكاً في إنسانية الديانات كلها أو بعضها، وبدأ تسخير الدين من قبل قوى أخرى لا تنتمي للمؤسسة الدينية.<sup>40</sup> إضافة إلى ظاهرة الاستشراق التي رسمت صورة نمطية سلبية عن الاسلام في الشرق العربي، حيث أدت إلى رؤية الثقافة الإسلامية كشيء ثابت في الزمان والمكان واعتبارها غير قادرة على تحديد ذاتها، وهذا ما أعطى أوروبا إيماناً بتفوقها الذاتي فكرياً وثقافياً ومن ثم زعمها أنها تقوم بتثقيف وتمدين الشعوب الشرقية في إطار الوصف المضلل للثقافة العربية الإسلامية والنظرة السلبية، في إطار الهيمنة على وسائل الإعلام والتأثير في نشر رسالتها عن المجتمع الإسلامي. وهكذا ارتبط مفهوم الإسلام بالأصولية وبعدم القدرة على فهم الآخر، حيث اتخذت كراهية الإسلام باعتباره قوة عالمية مؤثرة.<sup>41</sup>

وفي سياق الحديث ذاته يقول "جورج قرم" لقد باتت توصيفات الناس دينية محضة، إذ أصبحوا بالأساس مسلمون (شيعة وسنة) ومسيحيون (كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت) و(يهود وهندوس وبوذيون) مع ما يمكن أن يطبع هذه التوصيفات من قوة وتطرف، بين يميني ووسطي ومتطرف، بين ديمقراطي اشتراكي وماركسي وصيني وغيرهم. لذا يؤكد "قرم" أن اللجوء إلى الديني يعني ألياً وجود أزمة في شرعية السلطة وما أطروحة الحرب الحضارية لـ "هنتنغتون" تحت "صدام الحضارات" ليست سوى أيديولوجيا هدفها الأساسي إدامة الفوضى، خاصة بعد انتهاء النزاع في القرن 21م بين القوميات الكبرى. على غرار القرن 19، ولم يعد مجابهة بين أيديولوجيتين كبيرتين، فالعديد من الملاحظين يصورون صراع القرن 21م، صراع بين عالم يهودي مسيحي ليبرالي متسامح ومنفتح وحادثي وعالم إسلامي متأخر واستبدادي وعنيف ومنطوي على نفسه.<sup>42</sup>

وحسب كل من "ألفين" و"هايدي توفلر" أن التأثير المتزايد للأديان العالمية من الاسلام وحتى الارثوذكسية الروسية، اضافة الى طوائف العصر المتكاثرة بسرعة، فالكل سيكون لاعبا أساسيا في النظام العالمي للقرن 21م، أي أن كل شخص يمكن ان يكون ينتمي إلى قوميتين، إلا أنه لا يمكن أن يكون نصف مسلم ونصف مسيحي. وعلية ففي الصراعات الثقافية بدل ان يطرح سؤال في أي طرف انت؟، يتم طرح سؤال من انت؟.<sup>43</sup> وفي هذا الصدد يشير "وليد عبد الحي" أن (50%) من سكان العالم ليسوا مسيحيين ولا يهود ولا مسلمين. لذا يجب دراسة شبكة ومستقبل تفاعلات الظاهرة الدينية ليس من زاوية المسيحية أو اليهودية أو الاسلامية فقط. بل وكل المعتقدات الاخرى الوضعية. وإلا سيشكل دراسة الظاهرة في نصف الكرة الارضية خطأ منهجي من منظور المدرسة الكلاسيكية. ويرى "عبد الحي" أنه علينا دراسة الدين كظاهرة تتسم بالتقديس والتنزيه للذات وللآخر والكون. الامر الذي يجعل منها قابلة للنقاش والوعي بها، شريطة التسليم بها إلى جانب تحررها من أسر الزمان والمكان.<sup>44</sup>

ووفقاً لاستطلاع (WIN/Gallup International 2015) حول المواقف الدينية في جميع أنحاء العالم، أن (63%) من المشاركين وصفوا أنفسهم بأنهم متدينون. ومن المتوقع أن ترتفع هذه النسبة بين المستجيبين خاصة الشباب منهم. وبالتالي، لا يتوقع أن يختفي الدين بشكل أو بآخر من الحياة العامة في العقود القادمة، فهناك حاجة ملحة لاستخدام الدين بشكل مفيد في جعل العالم مكاناً أكثر أماناً وأيضاً لجعل إمكاناته الإيجابية معروفة على نطاق أوسع. فالدين في العلاقات الدولية هو "ابن العم الذي لم نعرفه أبداً" الذي يستحق أن يتم تصويره بشكل عادل ومعاملته بشكل عادل. يبدو أن ابن العم هذا أثبت بالفعل أنه ليس الخروف الأسود في العائلة.<sup>45</sup>

وبالنظر إلى كل الأدبيات والإنجازات من حيث تحليل دور الدين والثقافة في العلاقات الدولية، حان الوقت لتجاوز الحجة المنطقية القائلة بأن الدين والثقافة مهمان في السياسة الدولية واستكشاف السؤال ذاته كيف يعمل الدين كمحدد للشؤون الخارجية للدول والامم؟، ومتى يهم الدين وكيف؟ هذا بالطبع سؤال أساسي وعميق يؤكد أن الامر شبيه بمهمة مستحيلة. فالعناصر الثقافية والدينية أساس السلوك والتفكير في التصرفات الاجتماعية والخاصة. لأنه من خلال تغطية مجال ثقافة السياسة الخارجية، فإن الأفكار والقيم الدينية والتوجيه تُعلم قرارات السياسة من وقت لآخر، إن لم يكن في معظم الأوقات في الواقع. كما أوضح "غرامشي" أنه لا يمكن فصل الثقافة والدين عن القوة السياسية والاقتصادية، لأنها عالم تأسيسي لهذه القوة. تخلق "عقلية إستراتيجية" تحدد السلوكيات والأفكار والأفعال. وهي تختلف عن "الثقافة الاستراتيجية". وهي طريقة استخدام استخدام تلك العناصر الثقافية في صياغة السياسة الخارجية، وليس العناصر في حد ذاتها. وبهذا المعنى تشير "العقلية الإستراتيجية" إلى عنصر أعمق يتحكم في ما نراه على السطح ويعاد تفسيره لاحتياجات الوقت. وفي معظم الأوقات.<sup>46</sup>

ويؤكد "محمد اوزكان" ان العقلية الاستراتيجية قد تكون بمثابة قيد وفرصة لشرح الاستراتيجيات الكبرى للدول الصاعدة. لأن العناصر الدينية والثقافية ليست مجرد ماض تاريخي. بل هي تصورات وتفسيرات وضمائر تحدد مشهد التفكير في عقلية السياسة الخارجية. إذ يشكل الخطاب التاريخي المهيمن في الغالب **كيف نفكر... ونقول... ونتصرف... ونتصور الأشياء**، حتى أننا ننخلها. وأن استمرار العناصر الدينية/الثقافية التاريخية مثل الدين وتجربة الاستعمار، ينتج عقلية استراتيجية أو مجموعة من الإدراك الذاتي التي تؤثر على النهج الأوسع للسياسة الخارجية. إذ يشكل التراث الديني/الثقافي المقترن بالإرث التاريخي الآفاق، ووجهات النظر العالمية، أو نظرية كونية للأشخاص والدول.<sup>47</sup> وهي نفس رؤية "طلال أسد" المقنعة بأن التقاليد الإيمانية كانت دائماً منخرطة في عالم القوة. وهو الشيء نفسه الذي قالت به "إليزابيث شكمان هيرد" إنه بغض النظر عن الإدراك حول فائدة الدين في الشؤون الدولية، فقد اتخذ الدين دائماً أشكالاً مختلفة وشغل مساحات مختلفة في ظل أنظمة الحكم الحديثة. لذا من المهم إعادة صياغة الدين باعتباره سمة منتظمة لنشاط السياسة الخارجية يوفر لصانعي السياسات الحكومية المزيد من الخيارات الاستراتيجية لإشراك الفاعلين والمصالح الدينية في أي سياق معين. كما هو الحال لمبادرة وزارة الخارجية الأمريكية الدينية، إذ تعتبر أن أكبر مساهمة يمكن أن يقدمها مثل هذا المكتب هي مساعدة مسؤولي الشؤون الخارجية والدبلوماسيين عبر جميع المكاتب الإقليمية والوظيفية على فهم أن التعامل مع الدين والفاعلين الدينيين يجب أن يصبح جزءاً روتينياً وقياسياً من مجموعة الأدوات الدبلوماسية.<sup>48</sup>

والحدث الأبرز في العالم الذي يؤكد على إعادة التفكير بدور الدين في السياسة العالمية هو تأسيس دولة الامارات "البيت الابراهيمي" أو ما يطلق عليه "الديانة الابراهيمية" التي يروج لها اليوم من قبل قوى سياسية عالمية ومؤسسات وجامعات ومراكز عالمية. وهو مشروع أساسه الجمع بين المعتقدات المشتركة الدين الاسلامي، والمسيحية واليهودية باعتبارها ترجع إلى أب واحد وهو نبي الله إبراهيم عليه السلام. ويرجع البعض بداية بناء "البيت الابراهيمي" إلى القرن التاسع عشر (19م)، حيث بدأ الحديث منذ سنة 1811م، عن "الميثاق الإبراهيمي" الذي يجمع بين المؤمنين في الغرب. قبل أن يتحول اسم "إبراهيم" إلى اصطلاح بحثي لدى المؤرخين، في الخمسينيات من القرن العشرين (20م)، وأول من رسخه هو المستشرق الفرنسي "لويس ماسينيون" في مقالة عام 1949م، تحت عنوان "الصلوات الثلاث لإبراهيم، أب كل المؤمنين". ومن بعدها تحولت الديانات الإبراهيمية إلى حقل دراسات مستقل بذاته. وتجدر الإشارة أن مصطلحي "المشترك الإبراهيمي" و"السلام الإبراهيمي" يعود استخدامهما أول مرة، إلى دراسة نشرها الرئيس الأمريكي الأسبق "جيمي كارتر" عام 1985م، في كتاب "دم أبراهام"، ناقش من خلاله فكرة "المشترك الإبراهيمي" بين أبناء المنطقة كحل للوصول الى السلام.<sup>49</sup>

كل هذا رغم الاعتقاد الغربي الذي كان يعتبر الدين سبباً للعنف، لكنه تغير وتطور ليكون مدخلاً لتسوية النزاعات والصراعات خاصة الصراع العربي الاسرائيلي. ولإضفاء طابع الشرعية الدينية على القرارات السياسية

من خلال ما يسمى بـ "قدسية السياسة" حيث بدأ الحديث عن "السلام الديني العالمي" كمدخل فكري مهم، تدعمه الحكومات الأمريكية المتعاقبة بحثياً منذ عام 1990م، تزامناً مع خطاب الرئيس الأمريكي الأسبق "جورج بوش الأب" عن "النظام العالمي الجديد" عقب انهيار الاتحاد السوفياتي والحرب الأمريكية ضد العراق. ولكن على المستوى البحثي، أخذ الأمر منحى جديداً مع الألفية الجديدة كبداية للتنفيذ والدعم،<sup>50</sup> وفق مخطط ما يمكن ان نطلق عليه "جغرافيا الايمان: الحرب الناعمة" تأسيساً بمبادرة جامعة "هارفارد" الأمريكية عام 2004م، باسم "مسار الحج الإبراهيمي"، وهو المسار الذي قطعه نبي الله "إبراهيم" عليه السلام، من العراق إلى فلسطين قبل أربعة آلاف سنة. حيث ترى هذه المبادرة أن النبي "إبراهيم" عليه السلام، خرج من منطقة "أور" الكلدانية بالعراق، وسار بمحاذاة "نهر الفرات" إلى "حاران" بتركيا ماراً بسوريا وفلسطين حتى وصل مصر، ومن ثم رجع إلى فلسطين، ويقع على جوانبه مواقع مشهورة عالمياً تضم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وكنيسة القيامة والمسجد الأموي.<sup>51</sup>

وترى الباحثة "هبة جمال محمد العزب" من الملفت للانتباه أن المسار الأكبر "مسار إبراهيم" حدوده الجغرافية تتشابه مع الحدود الجغرافية لخريطة أرض "إسرائيل الكبرى" وكما تسمى "الأرض المقدسة".<sup>52</sup> (شراقوي، 2022) وأن هدف "المشترك الإبراهيمي"، يتمثل في رفعت شعارات إزالة الحدود والولاءات، وترسيخ مفهوم المواطن العالمي على الأرض ليكون ولاءه غير مرتبط بالأرض وإنما تحت مدخل محبب ومقبول للنفس، ألا وهو المشترك الروحي أي الإبراهيمي. في إطار ما تطلق عليه المدرسة الواقعية "الدبلوماسية الروحية" وفق المسارات الدينية الثلاثة: المسار الصوفي التركي، والمسار المسيحي "فرسان الهيكل"، والمسار الأكبر "مسار إبراهيم".<sup>53</sup>

في السياق ذاته، يرى الباحث الأميركي "جيمس روزينوه" أن مستقبل العالم سيرتكز على السلام العالمي الذي سيتحقق عبر الديانات الإبراهيمية والعقائد المتداخلة، كمدخل جديد لحل النزاعات في العلاقات الدولية، وكطرح بديل لنظرية "صامويل هنتنغتون" حول "صدام الحضارات"، ونظرية "فرانسيس فوكوياما" حول "نهاية التاريخ"، بل ليعكس نهجاً جديداً داخل علم العلاقات الدولية كانت أهم ملامحه ظهور مفاهيم جديدة؛ كالتسامح العالمي، والأخوة الإنسانية، والحب، والوئام، كمفاهيم جديدة مطروحة داخل هذا الحقل.<sup>54</sup>

لكن هذا يثير التساؤل حول التحول لدى القادة والمفكرين الغربيين في المنظور الفكري، من فصل الدين عن الدولة و العقل العلماني، إلى "السياسة المقدسة" التي تعتمد على روايات عنصرية معينة لإعادة تأكيد سياسات التفرد الديني من جهة، وتحشر الآخر في فضاءات الاختلاف - قانونياً وثقافياً وسياسياً - وهي عملية مستمرة تنعكس في علاقات القوة الهيكلية، وإنتاج الذات والآخر والحفاظ عليها، نتيجة تأثير التقديس العميق على السياسة من خلال إدارة الوعي بما في ذلك بناء الهوية الذاتية فيما يتعلق بالآخرين، ومن خلال الإقليمية وسياسة الأرض، ومن خلال الحكم السياسي باستخدام العنف ونظام السيطرة الناجم عن السياسة.<sup>55</sup> كل هذا تحت غطاء أن ما يتم داخل السياسة الدولية ما هو إلا تكليف إلهي "لاهورت الغلبة". أي محاولة إعادة التفكير

بالدين كقضية مهمة في العلاقات الدولية، ليس كدين في حد ذاته، بل من وجهة نظر القضايا واحداث السياسة العالمية، وكيف يؤثر الدين في تشكيل وتوجيه السياسة الدولية. فالدين لم يعد سمة على المستوى المحلي أو في حدود الاقليم، بل تخطى كل الحدود والقيود إلى العالمية.

وقد اقترح "فوكس" و"ساندلر" طريقتين محتملتين يمكن لأنظمة المعتقدات الدينية من خلالهما أن تؤثر على السياسة الدولية. فالطريقة الأولى هي أن النظم العقائدية قد تؤثر على نظرة وسلوك صانعي السياسة. من خلال مفهوم يسمى "الأقسط النفسية" وفقاً لـ "ويبر"، حيث يضع الدين علاوات نفسية على الأفعال والسلوكيات التي تعمل كمرشحات لتقييم كيفية التصرف والتفكير والعمل. ويقول "وينتزر" أن أنظمة المعتقدات هذه ضرورية جداً لعملية تفكيرنا لدرجة أننا نتجاهل أي معلومات تتحدها، وحتى ندافع عنها من التحديات الخارجية بأي ثمن. وهو ما لاحظته "كارمنت" و"جيمس" بأن مثل هذه التهديدات للقيم الأساسية قد تسبب حتى صراعات عرقية. لذا يظهر هذا التأثير المباشر للدين والثقافة تأثيره على السياسة الخارجية وصنع القرار عن غير قصد وحتى بغير وعي. لهذا السبب، في معظم الأحيان قد يكون من الصعب على الباحثين اكتشاف دور هذه العناصر في السياسة ما لم يتم ذكرها علانية أو أدت إلى عنف أو نزاع.

أما الطريقة الثانية المحتملة التي يمكن أن يؤثر بها المعتقد الديني على السياسة الدولية، وفقاً لـ "فوكس" و"ساندلر" هي تلك القيود المفروضة على صانعي السياسة من خلال المعتقدات المنتشرة على نطاق واسع داخل السكان الذين يمثلونهم. لهذا السبب لا يمكنهم على المدى الطويل أن يتخذ صانعو السياسات قراراً يتعارض بشكل مباشر مع بعض المعتقدات أو القيم الأخلاقية أو القيم التي يؤمن بها ناخبوهم على نطاق واسع وعميق. كما هو الحال في حالة سياسات الضغط الاجتماعي الدول العربية الإسلامية تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.<sup>56</sup> وسياسات ضغط المدينيين الأمريكيين أو كما يطلق عليهم المحافظين على صنع القرار خاصة في ما يتعلق بالقضايا الخارجية، كما هو الحال مع الإنجليين في السياسة الأمريكية اتجاه إسرائيل. في إطار ما يسمى الأفكار الدينية المحدودة لتحديد مجموعة جديدة من الأولويات في مقدمها الحفاظ على الوضع الراهن ليس تغييره.

### الخاتمة

من خلال هذه الورقة البحثية حول إعادة التفكير بدور الدين في السياسة الدولية. يمكنك القول أنه بالرغم من الإنكار المتواصل لدور الدين في التفاعل الدولي، والحاجة إليه من طرف صانع القرار لرسم صور أكثر وضوح عن المصلحة الوطنية، وفهم سلوكيات وأفعال الآخرين. إلا أنه بدأت تتعالى اصوات الاكاديميين والمسؤولين بالتركيز على المتغير الديني في مجال الدراسات الدولية خاصة في مجال السياسة الخارجية باعتبارها تمثل برنامج عملي تستطيع من خلاله الوحدات الدولية والفواعل التعبير عن افكارها ومعتقداتها واهدافها وممارسة عملها الدبلوماسي. ويمكن ان نلاحظ دور الدين في تشكيل السياسة الدولية من خلال النقاط التالية:

- (1) أن الدين يعمل على انتاج القيم والمعتقدات والمعايير ، التي يعتقد أن لها تأثير متزايد على العلاقات الدولية وتفسير وحل النزاعات والصراعات الدولية.
  - (2) يعمل الدين على اضعاف الشرعية للسلطة. فهو يعد قوة إقناعيه قد يستعملها صانع القرار والسياسيين لدعم أفكار محددة أو معارضة أخرى. لذا يعتقد البعض أن الاقناع الديني مهم في السياسة الدولية.
  - (3) يؤثر الدين على مخرجات السياسة الخارجية للدول من خلال التطلعات في السياسة العالمية. حيث تؤثر الرؤية الكونية للعالم وفق معتقداتنا وديننا وثقافتنا على طريقة افعالنا، وسلوكياتنا، وكيفية تفكيرنا. لذا تؤكد الدراسات الاكاديمية لدور الدين في العلاقات الدولية، أن للدين قدرة تأثيرية فالعلاقات الدولية ليست قوة مادية فقط. بل هناك مجموعة الأفكار التي تتبناها الدول حول كيفية استخدام هذه القوة. فالدين يعبر عن نظام فكري معين.
  - (4) يعد الدين مصدرا للهوية ووعاء للثقافة، ويفترض الكثير من المنظرين في مجال الدراسات الدولية أن الهوية والبعد الثقافي القيمي عوامل مؤثر في تشكيل العلاقات الدولية.
  - (5) يمثل الدين القوة الدافعة وراء العلاقات الدولية، من خلال رسم رؤيتنا السياسية ومساندة القدرة السياسية، وتدعيم القوة المؤسسية للدولة.
- وفي الاخير يمكن القول أن الدين والسياسة في صراع مستمر، فكلاهما يشكل قوة خاصة لها أثر في تشكيل الحياة السياسية الوطنية والدولية. لكن يكمن الاشكال في العلاقة الارتباطية بينهما ومحاولة كل منها توظيف الاخر لصالحه. خاصة وان الدين يحمل في طياته حلول وتفسير للكثير من الاشكالات المجتمعية. كما أنه يعمل على ضبط السلوك البشري وتقويمه. ومع ذلك يثير اشكال عدم الاتفاق على صياغة تعريف محدد، مسألة تنافر الافكار داخل الحقل المعرفي بسبب غياب اجماع حول المعايير والقيم التي يمكن من خلالها قياس مدى تأثير الدين في تشكيل السياسات والرؤى للتعبير عن مصالح الدول والامم. لهذا يقترح في الفضاء المعرفي لدراسة دور الدين في السياسة الدولية اعتماد الدراسات المقارنة، أو كما تسمى السياسة المقارنة. للحصول على حقائق أكثر موضوعية ودقة.

#### الهوامش

- 1- بشير الشريف أحمد مكين، البعد الديني في العلاقات الدولية: دراسة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. كلية الدراسات العليا. السودان: جامعة الخرطوم. 2010، ص 13.
- 2- محمد الحسيني إسماعيل، الانسان والدين: ولهذا هم يرفضون... القاهرة: مكتبة وهبة، 2004، ص 17.
- 3- المرجع السابق، ص 22.
- 4- حلا صلاح، أهمية الدين في حياة المجتمعات البشرية. مجلة جامع تشرين للبحوث والدراسات العلمية، 37(6) 2015، ص 327.

- 5- محمد الحسيني إسماعيل، المرجع السابق، ص 26.
- 6- بشير الشريف أحمد مكين، مرجع سابق، ص 14.
- 7- طه الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها. دار مكتبة الحياة، بيروت، 1963، ص ص 29-30.
- 8- عصام عبد الشافي، البعد الديني في العلاقات الدولية: الماهية والتأثير. كراسات علمية، العدد 25، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية 2014، ص ص 10-11.
- 9- عبد الجليل أميم، الدين والعقل العمومي في أهمية المعتقد عند هاربرماس. مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، 2014، ص 3، 6.
- <https://mominoun.com/pdf1/2014-12/54a13847b447891311318.pdf>
- 10- حلا صلاح، مرجع سابق، ص 329.
- 11- محمد بن عبد الله الزامل، الدين والضبط الاجتماعي (محاضرات). تم الاسترداد من جامعة الملك سعود، السعودية، (6، 11، 2020)، ص 5.
- 12- المرجع السابق، ص 7.
- 13- المرجع السابق، ص ص 7-8.
- 14- فريال حسن خليفة، الدين والسلام عند كانط. مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 120.
- 15- المرجع السابق، ص ص 121-138.
- 16- المرجع السابق، ص 144.
- 17- المرجع السابق، ص ص 147-148.
- 18- أحمد، خميس ومحمد، الطيار، استخدام الدين في الحياة السياسية. مجلة السياسة والاقتصاد، 11(10) جملة حلول، القاهرة، 2021، ص ص 13-14.
- 19- صدف محمد، محمود، التطور التاريخي لدور الدين في العلاقات الدولية. ماي 2010، ص 41.
- 20- المرجع السابق
- 21- عصام عبد الشافي، مرجع سابق، ص ص 20-21.
- 22- المرجع السابق، ص 24.
- 23- Ozkan Mehmet, How Religion Shapes Foreign Policy? An Explanatory Model for Non-Western States. journal on religions and theology, Special Issue, 2021, p 2.
- 24- Ibid, p 3.
- 25- Haynes, J, Religion and International Relations Theory and practice. In J. Haynes, Handbook on Religion and International Relations (pp. 5-23). Cheltenham, UK: Edward Elgar Publishing Limited, 2021, p 13.
- 26- Vendulka Kubalkova, The Turn to Religion in International Relations Theory. Retrieved from: E-International Relations, 2013, p1. At.: <https://www.e-ir.info/pdf/44672>
- 27- Nicholas Adams, The Birth of Religion and International Relations: Questions of Scale. Journal of the American Academy of Religion, Volume 89, Issue 2, June 2021, pp 414-416.
- 28- Ozkan, Op.Cit, p 3.
- 29- Vendulka Kubalkova, Op.Cit, p 5.
- 30- Cecelia Lynch, Tanya B Schwarz and, Religion in International Relations. Oxford University Press USA, 2016, p2.

- 175

